التروتسكية الجديدة :-

ان التروتسكية تعبير يطلق نسبة الى (ليون تروتسكي) صاحب نظرية الثورة الدائمة التي وضع لها ركائز سبق وان تناولناها في محاضرة سابقة ، اما سبب التعلق بأفكار تروتسكي وانتشارها وكثرة التنظيمات التي اتخذت اسمه فانه يعود الى جدية الطرح وتشخيص الخلل في الثورة الروسية لعام ١٩١٧ وضرورة عدم توقفها عن تخليص الطبقة العاملة في الدول الرأسمالية من جهة ، ولان تروتسكي مثل اتجاها معتدلا في العمل الثوري في المجتمعات الرأسمالية مما يسمح للتنظيمات بالعمل ، اذ ان هذه التنظيمات اخذت اتجاهات متعددة في اوربا والولايات المتحدة :-

الاتجاه الاول : وهو الاتجاه المتطرف الذي يرى ان اليسار المتطرف يتميز بقدرته التنظيمية للإطاحة بالنظام الرأسمالي ، وساد هذا الاتجاه في فرنسا والمانيا دون ان يحقق اي نتائج .

الاتجاه الثاني :وقد عرف بالاتجاه الاشتراكي الاصلاحي وقد نشط في الولايات المتحدة من خلال حزب العمال الاشتراكي ، وقد دعا الى تبني الاصلاح التدريجي للمجتمع الامريكي الذي يؤدي الى تغيير جذري ، وقد التحق بهم الاشتراكيون الكنديون والالمان .

الاتجاه الثالث : المعتدل الذي اخذ موقعا وسطا بين الاتجاهين السابقين ويرى بان خلاص الطبقة العاملة ينبغي ان يعتمد على الخط الثوري تارة وعلى الاصلاح التدريجي تارة اخرى ، ويتم تبني العمل سواء المتطرف ام الاصلاحي وفقا للموقف الذي يتمتع به العمال للحفاظ على ما يحققونه من مكاسب .

ان من ابرز المفكرين التروتسكيين المعاصرين هما :-

١- اسحق دويتشر ١٩٠٧-١٩٦٧: وهو من ابرز الاختصاصيين في شؤون الاتحاد السوفيتي ومؤلف كتاب عن ليون تروتسكي بثلاث اجزاء (النبي المسلح والنبي الاعزل والنبي المنبوذ) وقد تمكن من تعريف القارئ بحقيقة تروتسكي بعد ما لحقها الكثير من التشويه بتوجيه من ستالين والستالينيين ، يهودي الديانة كتب كتاب اثار حفيظة اليهود بعنوان (اليهودي اللايهودي)وقد صنف على انه يهودي عاق .
يرى دويتشر بان الثورة الدائمة مستمرة قد تخفت احيانا ولكن سرعان ما تعود ، ويصف الفترة التي تلت الثورة الروسية بانها فترة خفوت ولكن بفعل الثورة الصينية ١٩٤٨-١٩٤٩ انتهت فترة الاستراحة واخذت الثورة تمتد من جديد لتبدأ فصلا جديدا في افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية وان كانت ذا بعد وطني ولكنها جميعا تصب في الثورة ضد النظام الرأسمالي الذي يوصف الاستعمار اعلى مراحله انسجاما مع طروحات ماركس ولينين ، الا ان دويتشر اختلف مع تروتسكي عندما اصبحت بلدان الشرق المتخلف المسرح الحقيقي لديمومة الثورة .
٢- ارنست ماندل ١٩٢٣-١٩٩٥ : من عائلة شيوعية المانيا ولد في فرنكفورت وله العديد من الكتب التي تتناول الفكر الشيوعي ودفاعاته عن ليون تروتسكي ، وقد كتب عن الاتحاد السوفيتي في ظل زعامة غورباتشوف (الى اين يسير الاتحاد السوفيتي في ظل غورباتشوف) تنبأ فيه بتفكك الاتحاد السوفيتي .

كان ماندل مسايرا لخطى تروتسكي في ركائز الثورة الدائمة ، وبين ان كل من لينين وتروتسكي متطابقين في وجهات النظر وحاول التقريب بينهما ، اذ ان لينين تصور قيام الديمقراطية للعمال والفلاحين على قاعدة اقتصاد رأسمالي في دولة برجوازية ، اما تروتسكي فقد لاحظ ضعف هذا التصور فان الفلاحين اذا ما تركوا فانهم سيكونون اداة بيد البرجوازية وان الثورة العمالية اذ اريد لها ان تنتصر فإنها لا بد ان تتحالف مع الفلاحين بقيادة عمالية لتتمكن من ادامة الثورة وانجازها ، الا ان لينين وتروتسكي يتفقان على ان القيادة ينبغي ان تكون بيد الطبقة العمالية ، ويشخص ماندل اسباب عدم قدرة الثورة على الاستمرار وتحقيق الثورة الدائمة ، لانها انشغلت في حرب اهلية مما لم يسمح لها بتقديم العون للدول الاوربية الاخرى من جهة ، قوة الدعاية المضادة التي استخدمها الرأسماليون والتي نجحت في انحراف العمال عن نضالهم من اجل السلطة .

التيار النقدي لتطوير الماركسية

كانت التجربة السوفيتية وما تبعها من عمليات لبناء الدولة الاشتراكية ملهما للعديد من الكتاب الماركسيين لتوجيه النقد اليها ، اذ كان دافعهم في ذلك الحرص على تنقية الماركسية مما لحق بها من خلال الممارسة وتطويرها ، وكان من بين المنتقدين المفكر الايطالي انطونيو غرامشي ، ومدرسة فرانكفورت .

انطونيو غرامشي :

فيلسوف ماركسي ايطالي ولد عام ١٨٩١ وتوفي عام ١٩٣٧، وانضم الى الحزب الشيوعي الايطالي منذ تأسيسه ، يوصف بانه صاحب فكر سياسي مبدع داخل الماركسية ، اسس خط خاص به عرف فيما بعد بالغرامشية نسبة اليه ، اذ تميز بالنشاط العملي النقدي معتمدا الممارسة الالمانية المحسوسة ، ان تصور غرامشي للعالم ينبع من ايمانه بان الماركسية هي التي تكون التصور الدقيق له من خلال ثلاثة اقسام (الاقتصاد السياسي ،والعلم السياسي والفلسفة) .

تعامل غرامشي مع الماركسية بطريقة نقدية ، معتبرا ان الاقتصاد ليس الجانب الاوحد الذي يفسر حركة التاريخ ، وانما الانسان هو العامل الحاسم ، اذ ان المجتمع متكون من افراد يتصلون ببعضهم ويخلقون عن طريق هذا الاتصال حضارات ويطوعون الاقتصاد لصالح رغباتهم الجمعية التي تديم الاتصال وبذلك يصبح الاقتصاد وسيلة بين المجتمع لتطويعه لما يصبون اليه فيكونون هم العنصر الحاسم في التاريخ وحركته .

لقد كتب غرامشي اغلب تأملاته وفلسفته وافكاره الناضجة في السجن والتي نشرت بعد ذلك وكان جلها قد كتبها في (دفاتر السجن الاولى) و (دفاتر السجن الثانية) .. انها تربو على ثلاثين دفترا والتي تضمّنت اراءه عن المجتمع الايطالي ، وتفكيره في النظرية الماركسية وعوامل التغيير للواقع ، واحكامه في الادب والنقد وتربية الاجيال .. ان ابرز المفاهيم التي التصقت به وعرفت عنه حتى اليوم : مفهوم الهيمنة الثقافية ، ومفهوم المثقف العضوي ، وكيف يتم التمييز بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني وشروط التغيير من اجل

الاشتراكية .. كما وعرف بنظريته : الحتمية الاقتصادية ونقده للفلسفة المادية ، وهنا يشبه كثيرا المفكر الماركسي الروسي بليخانوف الذي قدّم بدوره هو الاخر نقدا للماركسية .

ان غرامشي يفسر الهيمنة الثقافية اقسى بكثير من الهيمنة الاقتصادية ، فالثقافة البرجوازية المسيطرة يتبنى الجميع افكارها بالضرورة ، وخصوصا الطبقة العمالية وتتلبس تصوراتها ، فتغدو الهيمنة ثقافية وفكرية وليست مادية فقط . وعليه ، فان الطبقة المهيمنة هي التي تتحكم بكل المجتمع من دون ان يعارضها احد

. تحت عنوان "مشكلات الماركسية " يشير غرامشي إلى أن ماركس أبدع رؤية جديدة للعالم ، وأنه لا يكفي اعتبار الماركسية "شكل تفسير " للتاريخ فحسب ، بل مطلوب تطوير وبناء تصور أنطولوجي للعالم ، نابع ومرتبط عضوياً بالتفسير التاريخي .

مشروع المثقف العضوي

اما مشكلة المثقفين فهي اساسية وجوهرية ، اذ يرى غرامشي ان كل البشر مثقفون بمعنى من المعاني ، ولكنهم لا يملكون الوظيفة الاجتماعية للمثقفين ، وهي وظيفة لا يمتلكها الا اصحاب الكفاءات الفكرية العالية الذين يمكنهم التأثير في الناس .. ومن هنا يستخلص الفارق بين المثقف التقليدي والمثقف العضوي .. الاول يعيش في برجه العاجي ويعتقد انه اعلى من كل الناس ، في حين ان الثاني يحمل هموم كل الطبقات وكل الجماهير وكل الفقراء والمحرومين والكادحين .. وعليه ، فان المثقف الحقيقي هو المثقف العضوي الذي يعيش هموم عصره ويرتبط بقضايا امته .. ان اي مثقف لا يتحسس الام شعبه لا يستحق لقب المثقف حتى وان كان يحمل ارقى الشهادات الجامعية

ان غرامشي اسهم في تعزيز التعريف بالمثقف ودوره في البناء الحضاري وعول عليه كثيرا ، وميز بين المثقف وغير المثقف انطلاقا من نظام العلاقات الذي يؤطر نشاط المثقف وليس من خلال النشاط الذهني ، وبذلك خالف ماركس الذي ميز بين المثقف وغير المثقف استنادا الى التمييز بين العمل اليدوي والعمل الفكري ، معتبرا ان العمل اليدوي بحاجة ايضا الى اعمال الفكر للانتاج ، كما انه اقترح معيارا اخر للتميز يفضي الى الدور الذي يضطلع به المثقف في تاثيره بالمجتمع ، وبذلك ميز بين المثقف العضوي والمثقف التقليدي .

المثقف العضوي : هو الذي ينتمي الى شريحة او شرائح المثقفين الذين يزودون طبقة اجتماعية معينة بتجانس ووعي لوظيفتها الخاصة في المضامين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

وطبقا لغرامشي فان المثقف العضوي هو الذي :-

١- ينظمون الوظيفة الاقتصادية للطبقة التي يرتبطون بها .
٢- يبررون وظيفة الهيمنة التي تمارسها الطبقة السائدة في المجتمع عبر القنوات الثقافية .
٣- ينظمون وظيفة الاكراه التي تمارسها الطبقة السائدة على سائر طبقات المجتمع بواسطة الدولة (لان منهم الوزراء وكبار موظفي الدولة او السلطة التنفيذية).

٤- يزودون الطبقة التي يرتبطون بها بالوعي بمصالحها وتصورها المتجانس والمستقل للعالم .

اما المثقف التقليدي فهو المثقف المرتبط بجماعة تقليدية زائلة او في طريقها للزوال .

اما الاجهزة الثقافية التي تصنع المثقف ، فان غرامشي يرى في المدرسة المؤسسة الثقافية القادرة على انتقال التقاليد وتسمح بإعداد الكوادر للطبقة السائدة وعلى الرغم من قوة هذه المؤسسة في انتاج المثقف الا ان غرامشي يرى ان طبيعتها المحافظة التي تؤثر على الدور الثوري ترجح كفة المؤسسة الثقافية الثانية وهي المتمثلة بالحزب ، فالحزب بالنسبة لبعض الطبقات الاجتماعية هو الطريق لتشكيل المثقف العضوي في الميدان السياسي ،يرى غرامشي ان الحزب الثوري هو وحده القادر على تكوين طبقة جديدة من المثقفين العضويين المرتبطين بهموم الناس وقضايا العمال والفلاحين . ان هؤلاء المثقفون العضويون يمكنهم ان يشكلوا هيمنة بديلة عن الهيمنة الرأسمالية . ومن هنا نستطيع القول ان غرامشي هو الوحيد الذي اعتقد بأهمية المثقفين ودورهم في التغيير اذ كان يؤمن بانهم قادرون على صنع المعجزات اذا ما التزموا بقضية الشعب الاساسية التزاما عضويا وحيويا ويكمل غرامشي قائلا : " ان البورجوازية تخشاهم وتعرف أن نفوذهم كبير ولذلك تحاول أن تشتريهم بأي شكل " .

يكتب غرامشي (يبدو لنا أكثر الأخطاء شيوعاً ، هو البحث عن معيار التمييز في الطبيعة الجوهرية لأنشطة المثقفين ، بدلاً من البحث عنه في مجمل نسق العلاقات الذي تجري فيه هذه الأنشطة) ، إن نظرية الهيمنة لدى غرامشي لا تنفصل عن مفهومه للدولة الرأسمالية التي يقول عنها بأنها تقود المجتمع عن طريق القوة وعن طريق التراضي في ذات الوقت ، اما الدولة في رأيه فليست هي الحكومة ، انها المجتمع السياسي حكومة وبوليس وجيش ومنظومة قانونية .. ومجتمع مدني يضم الافراد ومجالاتهم الاقتصادية . الاول يسير بطريق القوة والثاني يسيّر بالتراضي .. وهو يرى بأن الرأسمالية الجديدة عرفت كيف تلبي بعض الاصلاحات متجاوبة مع مطاليب النقابات والعمال خوفا من ان تأكلها الثورة الشاملة ضدها ، فحافظت على مكانتها في قيادة المجتمع من دون ان تخسر شيئا .. انها ذكية جدا اذ التفت على اطروحة كارل ماركس التي تنبأت بانهيارها من خلال الثورة الشيوعية الشاملة عندما تصل البروليتاريا الى حد الجوع ، وهذا ما لم تجعله يحصل